

# منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية

## على النبوة والربوبية

### (دراسة نقدية)

#### إعداد

د. سعود بن عبدالعزيز العريفي

قسم العقيدة - جامعة أم القرى

#### ملخص بحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبيه محمد، وبعد ..

فهذا بحث يحاول تحديد معالم المنهج الصحيح في الاستدلال بالمكتشفات العلمية على مسألتَي الربوبية والنبوة، كما يتعرض بالنقد الطريقة السائدة في الساحة الإسلامية لمعالجة هذه المسألة، ويعتبر البحث أن المكتشفات العلمية دالة على الربوبية من جهة زيادة التفاصيل الدقيقة المؤكدة على افتقار الكون إلى خالق مدبر، دون أن تكون معرفة هذه التفاصيل شرطاً في كمال اليقين، كما يعتبر هذه المكتشفات دالة على النبوة من جهة عدم تكذيبها لشيء مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، أما أن تكون دالة على النبوة من جهة أن النصوص القرآنية والنبوية قد سبقت بالإشارة إليها فقد كشف البحث عن إشكالات منهجية لا يكاد ينجو منها أي من النماذج المتداولة بين المتحمسين لهذه القضية، ومن أخطر هذه الإشكالات إمام الجيل الأول من المسلمين - وفيهم الرسول صلى الله عليه وسلم -

بالخطأ في فهم شيء من القرآن، أو خفائه عليهم، ومنها فتح باب الاستدلال بالاحتمالات والظنيات على المطالب اليقينية، فيفتح باب القدر والتكذيب، وادعاء التعارض بين محتجلات القرآن والسنة وبين المكتشفات العلمية، ومنها دخول الدور الممتنع في الإلزام بحمل عبارات القرآن والسنة على أوسع محملها ما وأصحها بناء على الكمال العلمي مصدرهما، وفي سبيل تحديد المعالم والضوابط التي تضمن السلامة من هذه الإشكالات ينتهي البحث إلى اشتراط ما يلي لصحة الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة:

- ١- أن يكون النص مفهوم المعنى تماما موع المخاطبين به منذ صدوره.
- ٢- أن يكون المعنى الإعجازي مدلولاً متعيناً للنص.
- ٣- ألا يكون صدق هذا المعنى ومطابقته للواقع في الأمر نفسه معلوماً من قبل للمخاطبين.
- ٤- ألا يحتمل كونه مقولاً بظن النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده.
- ٥- إجماع المختصين على كون الاكتشاف العلمي المألوف وقوع الإعجاز العلمي به حقيقة قطعية كائنة تمتنع إعادة النظر فيها، واشتتار ذلك بما تنتفي معه شبهة القول عليهم.

\* \* \*

## المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد ..

فإنه لما كانت النبوة المحمدية خاتمة النبوات، وآخر الرسالات، والتكليف لـ عاماً للثقلين، جعل الله تعالى أعظم دلائلها في القرآن العظيم، المحفوظ إلى يوم القيامة بكفالة رب العالمين، ونوع وجوه دلالته عليها بما ييسر وقوف الناس على هذه الدلالة العظمى، فهو دال على النبوة من جهة بلاغته وفصاحته، كما أنه دال على النبوة من جهة ما جعل الله فيه من أنواع العلوم الإلهية والتشريعات الربانية المفصلة، الهادية إلى أحسن الأقوال والأخلاق والأعمال، وهو كذلك دال على النبوة من جهة ما فيه من أنباء الغيب الماضية التي ما كان يعلمها محمد ولا قومه من قبل أن يوحى إليه، وشهد بصدقها المنصفون من أهل الكتاب

السابق، وكذا أنباء الغيب المستقبلية التي تحققت ولا تزال تتحقق شاهدة بأنه من عند عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.

وأياً من هذه الوجوه تجده يحمل خاصيةً ملازمةً ضرورية في دلائل المطالب العقديّة الكبرى، ألا وهي الارتباط اليقيني الواضح بين الدليل والمدلول، فلا مجال هنا للاحتمال، ولا لغلبة الظنون وترجيحات الأقوال، ومما هو مقرر أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال<sup>(١)</sup>، وإلا يكن ذلك في جميع الأحوال، فإنه دون شك جارٍ في المطالب اليقينية.

ومع تعدد هذه الوجوه اليقينية، وتنوعها وغنائها التام في إثبات النبوة المحمدية، وإقامة الحجة ١ على كل إنسان، في كل زمان ومكان، فقد ظهر اتجاه جديد في بيان وجه دلالة القرآن على النبوة، ينظر إلى الوجوه السابقة التقليدية على ألبا مع صحتها ومناسبتها وتأثيرها وجدواها في العصور السابقة لم تعد مجدية في الخطاب الديني المعاصر، وراح أصحاب هذا الاتجاه يتبنون لونا جديدا يرونه من دلالات القرآن على النبوة، هو ما اصطالحوا على تسميته: "الإعجاز العلمي"، الغرض منه دفع حمة مصادمة الدين الصحيح للمكتشفات العلمية التجريبية الحديثة التي ولدت بعيدا عن الدين عند غير المسلمين؛ بل بيان أن كثيرا من هذه المكتشفات سبق الإيمان إليه في النصوص الدينية الموثقة، على وجه ثبت ألبا إلهية المصدر، لكنه وجه خفي على السابقين، وتجلى بعد ظهور هذه المكتشفات واشتهارها مطابقة لتلك النصوص.

وإمعانا من أصحاب هذا الاتجاه في تحقيق هذا الغرض الشريف، عمموا هذه المطابقة لتشمل كل ما له صلة صحيحة وثيقة بالدين، فلم تقتصر على نصوص الوحي الأول: القرآن، الذي هو بألفاظه ومعانيه من الله، بل شملت الوحي الثاني: السنة النبوية، الصادرة من النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً، بل ربما ألحق بذلك ما قد تكون نسبته للوحي والدين محل اجتهاد ونظر، كالشمائل والإرشادات النبوية في الطب والتغذية والرياضة وغيرها من شؤون الحياة التفصيلية الخارجة عن موضوع النبوة الأساس<sup>(٢)</sup>، وهو هداية الناس التي هي أقوم في عقائدهم وعبادتهم وأخلاقهم، وسياستهم بما يوافق ذلك ويحقق مقاصده من الأحكام

التشريعية الكلية والجزئية، بل ربما ألحقوا بذلك أيضا بعض الاجتهادات الفقهية الظنية، وتعبيرا عن ذلك كله ظهر مصطلح "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية" ليكون اتجاهها جديدا في إثبات أن القرآن الكريم كلام الله حقا، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله صدقا، وأن دين الإسلام بعقائده وأحكامه ديرا لله المرصيا، الصالح لكل زمان ومكان، وتلك لعمرو الحق غاية نبيلة، وقصد عظيم لشكر أصحاب هذا الاتجاه على التفاني في بلوغه، والصدق في السعي إليه، والحماسة في الحرص عليه، غير أني بعد رصد هذا الاتجاه، والتأمل في نتاجه من نماذج الإعجاز العلمي في نصوص القرآن والسنة، لحظت خلا منهجيا أحسبه ليس بالهين، لا يكاد يسلم منه شاهد من شواهد هذا الإعجاز الملهي، وأخشى أن يفوت على هؤلاء الحريصين المتحمسين قصدهم، إله أن يقلب الأمر عليهم إلى الضد، فتعود الدلائل شبهات، والاكتشافات انكشافات، واليقينيات ظنيات، ويرتد الإعجاز عجزا، والإنجاز أذرا، فرأيت من النصيحة أن أعرض ما عندي في هذه القضية، لعلني أظفر بمن يحل هذه العقد التي أراها محلة بعامة ما قدم إلى الآن من نماذج الإعجاز العلمي، أو أن تكون لفئة من ناصح يرجو أن يكون أميننا، لا يخفى عليه ما أخذته هذه المسألة من أبعاد علمية ووجدانية ودعوية وإعلامية، وما اكتسبته من رسوخ عميق لدى شرائح واسعة من أهل العلم والفضل على اختلاف تخصصاتهم، وما تحظى به من دعم وتبلي من كثير من الهيئات العلمية والجهات الدعوية، حتى صارت المنازعة في صحتها والمناقشة حول جدواها وأهميتها لدى بعض أنصارها ضربا من الاعتراض على الثوابت القطعية، ونوعا من مكابرة الضروريات، بله تقليلا من شأن القرآن والسنة والعياد بالله.

وقد رأيت تصنيف بحثي بعد هذه المقدمة على النحو التالي:

- المبحث الأول: قواعد في منهج الاستدلال بالقرآن على النبوة.
- المبحث الثاني: خلاصة مواقف العلماء من التفسير العلمي للقرآن الكريم.
- المبحث الثالث: منهج الاستلال بالمكتشفات العلمية على الربوبية.

- المبحث الرابع: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة.

- الخاتمة والتوصيات.

وبعد فهذا جهد المقل، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، ومن الله وحده أستمد العون والتوفيق والسداد.

## المبحث الأول

### قواعد في منهج الاستدلال بالقرآن على النبوة

أولاً- [ مطالب العقيدة الكبرى لا تكون أدلتها إلا يقينية ].

المطالب العقيدة الكبرى لا يجوز الاستدلال عليها بوجوه هزيلة أو محتملة أو غامضة أو معقدة أو مشكوك فيها، وذلك ألّا مطالب يقينية لا تحتمل دخول الظنون والرتائب، كما قال تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} [الحجرات ١٥]، فاشتراط لصدق الإيمان انتفاء الارتباب، وما كان هذا شأنه لم يجز أن ينطرق إليه بأدلة مظنونة محتملة إلا على سبيل الوعظ والاعتبار، لا على سبيل تأسيس اليقين ومزاحمة الأدلة القطعية، أو خلافتها في وظيفة إثبات العقائد، وإلا صار الحال كحال كحال من قال: {إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين} [الجاثية ٣٢]، وقد وصف الله تعالى دلائل النبوة على الخصوص بألّا آيات بينات، أي علامات واضحات ظاهرات، كما قال سبحانه: {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات} [الحديد ٢٥]، ووصف كتابه بأنه آيات بينات فقال: {بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم} [العنكبوت ٤٩].

ثانياً- [ حجج الأنبياء في إثبات العقائد باللغة ].

الحجج التي جاء بها الأنبياء لإثبات العقائد كافية وافية شافية للموافق والمخالف، ولا تفتقر في قطعيتها ويقينيتها إلى أمور أخرى لم يبينها الأنبياء تكون مقدمات لها، قال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي} [المائدة ٣]، وإكمال الدين في دلائله كإكماله في

مسائله، وقال سبحانه: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب لتتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ [العنكبوت ٥١]، فهو كاف على ما فهمه الأولون إبان تلاوته عليهم، ومن لم يكتف بذلك القدر أو زعم أنه لم يعد مجدياً فحري به فوات الوعد الكريم في آخر الآية. ثالثاً - [الذين خاطبهم النبي - عليه الصلاة والسلام - قد أحاطوا بمجموعهم بمقاصد ما أنزل عليهم].

الذين أنزل عليهم القرآن وخاطبهم النبي - عليه الصلاة والسلام - قد أحاطوا بمجموعهم علماً بمعناه، وفهموا مراده، ولم يفهم منه شيء، كما يدل عليه مفهوم قوله - تعالى - عن الكفار: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله﴾ [يونس ٣٩]، وقوله: ﴿أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ [النمل ٨٤]<sup>(٣)</sup>. ولا نعي بذلك أن المخاطبين بنصوص القرآن والسنة كانوا يعرفون صحة جميع ما أخبرهم به في الأمر نفسه من طريق آخر غير خبر الرسول، بل نقول: إن ما ذكره لهم على نوعين:

الأول: أمور يعرفون صحتها حساً وعقلاً كما يعرفون معناها، وإنما يخاطبهم ما لينبهم على لوازمها، فهي مقدمات ودلائل توصل إلى مطالب أخرى، وذلك كالاتجاه على المشركين بدلائل الربوبية في الخلق والتدبير التي يعرفونها تماماً ويقرون بها، على بطلان عبادهم لغير الله تعالى، وبطلان قولهم باستحالة البعث للأجساد، فهذا النوع اجتمع فيه أمران: فهمهم التام المعنى المراد، وعلمهم السابق بصدقه حساً وعقلاً، وبذلك ساغ الاحتجاج به عليهم.

الثاني: أمور يفهمون معناها بمقتضى لغتهم، لكنهم لا يعرفون صدقها حساً، وقد يستبعدونها عقلاً أو يظنون استحالتها، والمؤمن يصدقها بمقتضى خبره لا غير، فهذه مطالب يستدل عليها إجمالاً بدلائل النبوة، ولا تنقلب إلى دلائل إلا إذا ثبتت بمصدر آخر صحيح موافق للنبوة، أو وقعت وفق ما أخبر كما سيأتي.

رابعاً - [صحة المدلول المعين لا تعني صحة الدليل المعين كما أن بطلان الدليل المعين لا يلزم منه بطلان المدلول المعين<sup>(٤)</sup>].

وهذا يعني أنه لا يكفي في تزكية الأدلة وتجويز نظمها كون المطلوب إثباته منها حقا ثابتا بأدلة أخرى؛ فإن الاستدلال قول على الله تعالى، سواء بالأدلة السمعية أو العقلية، ولا يجوز القول على الله بلا علم بأي حال، كما أن نقد دليل ما وتضعيفه لا يلزم منه تعدي النقد والتضعيف إلى المطلوب إثباته. لذا الدليل ما دام ثابتا بأدلة أخرى.

خامسا- [ حصول الأثر الحسن لا يلزم منه صحة الوسيلة، كما أن تزييف الوسيلة ونقدها لا يلزم منه إزالة الأثر الحسن ].

فإذا أسلم مثلا فنام من الناس بسبب دليل معين كالإعجاز العلمي في آية أو حديث<sup>(٥)</sup>، لم يجز أن يستدل بذلك على صحة هذا الدليل واستقامته وسلامة منهجه، نظير عدم قبولنا من وضعاي الأحاديث والقصص فيما لو استدلوا على منهجهم (نكذب له لا عليه) بتوبة كثير من الناس على أيديهم وإقبالهم على الطاعات وإقلاعهم عن المعاصي، ولو جاز هذا الاستدلال بالنتائج والآثار للزم منه بطلان المسألة المعنية. رد افتتان بعض الناس ورد<sup>٦</sup> م بسببها كما حصل مع حادثة الإسراء، وهكذا فإن نقدنا الإعجاز العلمي<sup>٧</sup> منهجا وتطبيقا لا يلزم منه دعوة من أسلم بسببه إلى إعادة النظر في إسلامه ومعاودة حاله الأولى.

سادسا: [ مواءمة القرآن العلم التجريبي متحققة بالمنهج العلمي الاستدلالي وطريقة التفكير النقدي التي يقررها القرآن ].

ويشهد على ذلك انسجام القضايا الكلية الكبرى في القرآن مع معطيات المنهج العلمي المعاصر<sup>(٦)</sup>، فلا ضرورة إذا لتتبع جزئيات الحقائق العلمية وأفرادها وربطها بالإشارات القرآنية لإثبات هذا التواءم.

سابعا: [ كل ماهو دال على النبوة المعنية فهو دال على الربوبية بطريق الأولى، ولا عكس ].

فلا يلزم من إثبات الربوبية إثبات النبوة والرسالة المعنية؛ لأكما أخص، ولذا لم يأت في القرآن الاحتجاج بالربوبية على النبوة الخاتمة كما جاء الاحتجاج<sup>٨</sup> على توحيد العبادة، وإن

كان الإرسال عموماً من مقتضيات الربوبية.

ثامناً: [ الدور في الأدلة ممتنع ].

وهو أن يجعل نتيجة الدليل مقدمةً من مقدماته، وعليه لا يسوغ استعمال قاعدة درء تعارض العقل والنقل في مقام الاستدلال على النبوة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة<sup>(٧)</sup>، فلا يصح إذاً عند تعدد وجوه التفسير المحتملة في آية ما أن نرجح كون المراد تعييناً هو الوجه المحتمل للحقيقة العلمية دون المخالف لها، أو أن نجزم بأنه مراد مع الوجه الذي أهمل الإشارة إلى الحقيقة العلمية على سبيل التعدد والاشتراك اعتماداً على عصمة القرآن؛ إذ هي معنى كونه وحياً من الله، وهو ما أراد إثباته، وكذا القول في السجدة.

تاسعاً: [ ما لا تقوم به الحجة لا يصلح لتقوية اليقين ].

ما لا تقوم به الحجة على المكذبين، فإنه لا يصلح لتقوية يقين المؤمنين، وذلك أن اتصاف الدليل بالصحة أمر ذاتي، لا يتغير باختلاف المخاطبين، وإذا ذكر على سبيل الاستثناس والاعتبار كالأسرائيليات وجب التنبيه على ذلك؛ لئلا يغتر به مسلم فيحتج به على مكذب فلا يفلح.

## المبحث الثاني

### خلاصة مواقف العلماء من التفسير العلمي للقرآن الكريم

استعمل مصطلح التفسير العلمي قديماً بمفهوم غير بعيد عما نحن بصدد هنا، فقد تكلم بعض السابقين كالغزالي والفخر الرازي على اشتغال القرآن على مجامع العلوم كلها، وجعلوا القرآن بمقتضى ذلك كتاب رموز وإشارات وأسرار وبواطن من وقف على حقائقها صار أقوى وأكمل إيماناً؟!، وقد انتقد هذا الاتجاه الشاطبي وغيره<sup>(٨)</sup>.

إلا أن التفسير العلمي للقرآن لا يكاد يذكر في العصور المتأخرة إلا مراداً به الربط بين الدلالات القرآنية والمكتشفات العلمية، وذلك الربط هو مقدمة القول بالإعجاز العلمي، فالتفسير والإعجاز العلميان على هذا متلازمان<sup>(٩)</sup>؛ وذلك أن الذي يفسر آية قرآنية كريمة



بحقيقة علمية لم تعرف من قبل يرتب على ذلك أن المتكلم بالقرآن محيط علماً هذه الحقيقة قبل أن لاكتشف، ولا يتصور أن يكون ذلك في مقدور محمد ولا من في عصره ولا من قبله، فثبت أن مصدر القرآن هو الخالق جل وعلا، الذي أتاح للإنسان فيما بعد أن يكتشف هذه الحقيقة. ولهذا الارتباط كان من المهم الوقوف على آراء العلماء المعتبرين - والاعتبار هنا أمر نسبي اجتهداي- حول هذا اللون الحادث من ألوان تفسير القرآن العظيم، وأرى في ذلك عدة فوائد، منها:

- ١- التنبيه إلى أن هذه المسألة مما يسوغ فيه الاجتهاد وتداول الرأي، وألاً ليست محل إجماع من أهل العلم كما قد يتوهم من يستعظم الجدل حولها والكتابة فيها بنفس النقد والتمحيص، ويسحب عليها الحصانة والجلالة المكفولة شرعاً للقرآن العزيز، وكأن الاعتراض عليها والمراجعة فيها اعتراض على صحة نقل القرآن، وتشكيك في سلامته من التحريف مثلاً.
- ٢- التنبيه إلى أن الأكثرية الصامتة حيال هذه القضية من أهل العلم لا يصح أن تحسب في صف المؤيدين لها كما قد توهمه كثرة حديثهم عنها في المؤتمرات والندوات والمحاضرات والفضائيات والمواقع الإلكترونية وغيرها من وسائل الإعلام والتأثير، مع قلة ما يذكر في ضبطها ونقدها.
- ٣- التنبيه إلى أن أهل العلم الشرعي الأصيل وعلوم القرآن واللغة والعقيدة خصوصاً أولى هذه القضية دراسة وتقريراً ونقداً وتمحيصاً من غيرهم، وأن ما قد يروج له من أن هذا المال إنما هو للمتخصصين في العلوم التجريبية من الأطباء والفلكيين والجيولوجيين والفيزيائيين ونحوهم<sup>(١٠)</sup>، أنه قلب للقضية، وإخلال بالمنهج العلمي السليم في التفكير والاستدلال، الذي يعطي أصحاب الاختصاص الأولوية في التعبير عن مجال اختصاصهم، ولا إخلال أحداً يحظى بثقافة شرعية جيدة يغيب عنه من أولى الناس بتفسير كلام الله تعالى، أما أصحاب التخصصات التجريبية فقصاراهم إن ساغ تحميل ظواهر

بعض الآيات شيئا من الحقائق العلمية المكتشفة أن يبينوا هذه الحقائق بالأدلة الحسية التجريبية، وألّا ليست مجرداً فرضيات وتخمينات، أما أن يتجاوزوا ذلك إلى تفسير النص القرآني جزماً بمراد الله تعالى من كلامه، فهذا ما لا يمكن، بله الاستدراك على السابقين قاطبة، وتشويق الجمهور وإثارة وجدانهم بدعوى خفاء الوجه الصحيح في فهم معاني بعض الآيات على كل من سلف، والتشجيع باكتشاف ما فاتهم، وربما التندر ببعض وجوه التأويل في التفاسير القديمة.

وبعد، فقد تبينت مواقف العلماء الشرعيين بعد ظهور هذا النمط من التفسير جراء ثورة المكتشفات العلمية التي انفجرت في الغرب في جولة معاد للدين منفلت منه، وحيالاً ما أوحى به هذه الحال إلى كثير من أبناء المسلمين من أن دينهم هو سبب تخلفهم كما هو الحال في الغرب لم يكن مستغرباً جداً أن ينتدب طائفة من علماء الدين لإبطال هذا الإيحاء المزيف، والتأكيد على أن الإسلام دين العلم التجريبي، ومحضه الإلهي، وفي سبيل إثبات ذلك تكلموا في التفسير العلمي للقرآن، وأن كثيراً من المكتشفات العلمية الحديثة مضمنة في النص الديني الأول، فعلاص الفصام بين الدين والعلم، وهكذا ظهر الموقف الأول من علماء الشريعة من هذا التفسير، وهو موقف المؤيدين بإطلاق، المتحمسين لهذا النمط من التفسير، وما لبث أن قابلتهم طائفة أخرى، رأت أن مقالتهم بدع من القول، وتقويل للقرآن ما لم يقل فيه، وكئي لأعناق النصوص، وافتيات على دلالات اللغة التي نزل القرآن.

ومن أشهر أصحاب الموقف الأول على تفاوت في الحماسة: عبدالعزيز الزرقاني<sup>(١١)</sup>، طنطاوي جوهري<sup>(١٢)</sup>، محمد الإسكندراني، عبدالرحمن الكواكبي<sup>(١٣)</sup>، جمال الدين القاسمي، عبدالحميد بن باديس، محمد متولي الشعراوي<sup>(١٤)</sup>.

ويمكن أن نلخص أدلة هذا الفريق سوى ما ذكرنا من حرصهم على إثبات الإخاء بين الدين والعلم التجريبي فيما يلي:

١ - عناية القرآن الفائقة بذكر أنواع المخلوقات والظواهر الكونية.

- ٢- أن القرآن أشار إلى كثير من المخترعات الحديثة إما تصريحاً أو تلميحاً.
  - ٣- أن هذا طريق لمعرفة إعجاز القرآن، بحسب ما يناسب هذا الزمان؛ خصوصاً وأن الإعجاز البياني التقليدي لم يعد مستوعباً من أكثر المسلمين، فكيف بالكافرين الأعجمين؟!.
  - ٤- أن في هذا النوع الجديد من التفسير إفحاما للملحدّين المدّعين بالعلوم الطبيعية.
- ومن أشهر أصحاب الموقف الثاني: محمود شلتوت، أمين الخولي، محمد حسين الذهبي، محمد عزة دروزة، عباس العقاد، عائشة عبدالرحمن، محمد كامل حسين، شوقي ضيف، صبحي الصالح، أحمد محمد جمال، سيد قطب<sup>(١٥)</sup>.

وخلاصة ما أخذهم على التفسير العلمي ما يلي:

- ١- أن القرآن لم ينزل لشرح العلوم التجريبية، وإنما هو كتاب هداية في العلوم الإلهية، فسياق الآيات التي تتحدث عن المخلوقات غرضه غير ما يقرره أصحاب التفسير العلمي.
- ٢- أن في هذا اللون من التفسير تحميلاً لسياق القرآن وألفاظه ما لا تحتل، إلا من جهة التأويل المتكلف الذي لا تسيغه اللغة في الكلام الفصيح البليغ، فكيف بمعجز الفصحاء والبلغاء؟!.
- ٣- أن الحقائق العلمية المحمّلة لآيات القرآن إنما لحكم بقطعتها في ضوء معطيات قابلة للتطور والتبدل بحسب ما يستجد من وسائل إدراك مقيّنة للحواس، ووسائل استقراء وتأمل ومقارنة مقيّنة للقياس، فجزأ العلماء التجريبيين هذه الحقائق لا ينبغي أن يُنظر إليه على أنه يقينيات من جنس ما يعرفه علماء العقائد، ويعتمدون فيه على أوليات فطرية وبدهيات عقلية<sup>(١٦)</sup>.
- ٤- أن كثيراً من المكتشفات العلمية المزعومة في حقيقتها غير مكتشفات، بل معلومات معروفة قديماً للأطباء والفلاسفة والمعتنّين بالعلوم الطبيعية، وإنما زادها المستكشفون دقة وتحديداً وتأكيذاً وبرهنة بما فُتح عليهم من الآلات المقيّنة للحواس المدركة، ووسائل التواصل الذي يتيح الاطلاع على ما أدركه الآخرون واكتشفوه، لكن جرى الوهم بأن

كل ما عند الغرب مكتشف بسبب التقصير في الاطلاع على جهود السابقين<sup>(١٧)</sup>.

٥- أن ما يذكره المنتصرون للتفسير العلمي من مبررات ومصالح ودواعي وإعجاز يتحقق بالمقام السليبي في هذا الباب: وهو أن القرآن العزيز على كثرة ما فيه من ذكر الظواهر الكونية وأنواع المخلوقات، وعلى أنه ظهر في مرحلة زمنية مليئة بالخرافات والأساطير المصادمة للعقل والعلم، مع ذلك كله لم تنهض واحدة من الحقائق العلمية المكتشفة حديثاً على كثر ما للقدح في شيء مما صرح به القرآن أو أشار إليه.

٦- أن العرب الذين خوطبوا بجميع ما في القرآن منذ نزوله لم يفهموا تلك المعاني الملهمة في التفسير العلمي، وإلا لزم أن تظهر هذه المكتشفات على أيديهم منذ فهموها من القرآن، وإذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال لم يجوز أن تكون هذه المعاني مرادة من الآيات حين أنزلت، وإذا لم تكن مرادة آنذاك، فما الدليل على ألا مرادة في هذا الزمان، هذا على فرض احتمال القرآن لها<sup>(١٨)</sup>.

٧- أنه يلزم من التفسير العلمي القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد فاته بعض معاني القرآن، أو أنه علمها ولم يعلمها أمته، كما يلزم تجهيل السلف ببعض معاني القرآن، وأن الحق قد يخرج عن مجموعهم.

٨- أن دافع التفسير العلمي التجريبي للقرآن إنما هو الهزيمة النفسية أمام فتوحات العلم الحديث<sup>(١٩)</sup>، وغياب الاستعلاء بالإيمان واليقين من واقع الأمة، وربما أشار إلى ثقة مهزوزة لدى المعتنين به بما تحظى به العقائد الإسلامية من دلائل تقليدية.

وبسبب هذه الاعتراضات الجذرية، أبدى بعض العلماء تحفظهم وقلقهم من الغلو في هذا النوع من التفسير والإفراط في تطبيقاته والانسياق خلفه حماساً وعاطفةً بعيداً عن المنهج العلمي، رغم قبولهم مبدأ الربط بين القرآن والمكتشفات العلمية، ومن هؤلاء: محمد فريد وجدي، محمد عبد الله دراز<sup>(٢٠)</sup>.

وفي ذلك يقول وجدي: (فأنت ترى أن المفسرين لم يفهموا من هذه الآية-يقصد {ما فرطنا في الكتاب من شيء} [الأنعام ٣٨]- ما يريد أن يفهمه الناس اليوم من أن القرآن يحوي كل شيء لفظاً ومعنى، وكل ما يكتشف من العلم في سائر الوجود إلى يوم القيامة إشارة وعبرة، لذلك يتكلف المسؤولون عن ورود المكتشفات الجديدة في الكتاب أجوبة يصرفون فيها بعض الآيات عن معانيها لتتطبق على ما يسألون عنه، مما لا علاقة لها به البتة)<sup>(٢١)</sup>.

ويقول دراز: (ولكن الحماس دفع بعض المفسرين المحدثين إلى المبالغة في استخدام هذه الطريقة التوفيقية لصالح القرآن، بحيث أصبحت خطراً على الإيمان ذاته؛ لأنّها إما أن تقلل من الاعتماد على معنى النص باستنطاقه ما لا تحتمله ألفاظه وجمله، وإما أن تعول أكثر مما يجب على آراء العلماء وحتى على افتراضات المتناقضة أو التي يصعب التحقق من صحتها، وبعد أن نستبعد هذه المبالغات عن البحث، نرى أن من مقتضيات الإيمان التي لا غنى عنها أن نضاهي الحقائق الفورية التي نجدها في القرآن مع نتائج العلماء المنهجية البطيئة)<sup>(٢٢)</sup>.

وقد ذكر بعض الباحثين<sup>(٢٣)</sup> شروطاً وضوابط للتفسير العلمي رأوها دائرة للمفاسد التي ذكرها المعترضون يتلخص أهمها في ثلاثة أمور:

- ١- كون الحقائق العلمية قطعية لا تقبل الشك أو التغير.
- ٢- كون السياق محتملاً للمعنى الجديد بوجه إجمالي، بدون تكلف.
- ٣- عدم حصر دلالة الآية في المعنى الجديد؛ لئلا يفضي إلى تجهيل السلف.

ومع أن هذه الشروط محاولة مشكورة لضبط التفسير العلمي وسد الذريعة إلى القول على الله بلا علم، إلا أنّها في نظري غير مجدية؛ لأنّها نسبية ترجع إلى تقدير متفاوت، ولن تجد متكلماً في الإعجاز العلمي ومؤلفاً فيه إلا وهو يُلّغى الالتزام بالشروط والضوابط، وألّا منطبقة على مكتشفه، بل يذم المبالغة والغلو والتكلف، والتأويل المتعسف ولي أعناق النصوص لتوافق المكتشفات، وينعى على المفكرين في الالتزام بضوابط الإعجاز العلمي أنهم انساقوا فيما يشبه التأويل الباطني المذموم<sup>(٢٤)</sup>، ثم تفاجأ بالنماذج التي يذكرها مخلة بعامة الشروط أو جلها،

فإذا نوقش وروجع في ذلك قال: رأيي أن اكتشافي يقيني، وأن السياق يحتمله دون تكلف، وأن السلف فهموا صوابا، وأنا فهمت صوابا، و"القرآن حلالٌ ذو وجوه"<sup>(٢٥)</sup>.

كما أن في كل من هذه الشروط عقدة ستبين للقارئ إن شاء الله تعالى مع كفاية البحث، وسأذكر في آخره الشروط التي أراها مجدية.

وبعد، فليس من قصدي هنا استيعاب آراء كل من تكلم في هذه القضية وعرض نصوصهم، فإن هذا يطول ولا يسعه هذا البحث المختصر، وإنما قصدت التأكيد على أن قضية التفسير العلمي للقرآن التي هي مقدمة القول بالإعجاز قد جرى فيها هذا الخلاف المخدم، فلا نكبر على من استدرك على المتوسعين فيها ما يراه خللا منهجيا أو تطبيقيا، على أن المتأمل في هذا البحث بتجرد وإنصاف، وما تناوله من النقد المنهجي للطرق المتبعة في تقرير دلالة الإعجاز العلمي على الربوبية والنبوة لن يخفى عليه إن شاء الله تعالى الموقف الصحيح من التفسير العلمي، والله الموفق.

### المبحث الثالث

#### منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على الربوبية

قد اعترض على الاستدلال بالمكتشفات العلمية على الربوبية بأن ما العلم المرتبط بالنبوة، فكان حقها الحصر في إثبات النبوة، وجوابا على هذا الاعتراض أنه إلى ما يلي:

١- أن عامة الآيات المستشهد بها في الإعجاز العلمي إنما سيقَّت لإثبات الربوبية لا لإثبات النبوة؛ حيث تنبه على المخلوقات والتدبيرات الإلهية في الكون باعتبارها آيات تدل على الخالق المدبر، المستحق للعبادة وحده، القادر على بعث الأموات من القبور.

٢- أن أنصار الإعجاز العلمي خلطوا كثيرا في هذه القضية، فأوردوا الآيات المنبهة على الربوبية شارحين ما فيها من شواهد القدرة بما لديهم من حقائق علمية تزيد دون شك في الوقوف على تفاصيل القدرة الإلهية، ثم جعلوا هذه الزيادة التفصيلية المشمولة بدلالة الآيات من ناحية التنبيه العام على القدرة والحكمة وغيرها من معاني الربوبية لا من ناحية

الدلالة اللفظية المباشرة=جعلوها مراداً مباشراً من الآية<sup>(٢٦)</sup>، وجعلوها من الإعجاز الناهض بإثبات النبوة، وتأثر كثير من المتابعين لهذا المشهد بنفحات برد اليقين، وجو الجلالة الإلهية، الذي يضيفه التأمل في شواهد الربوبية، وظنوا أن ذلك يصدق على الإعجاز العلمي في الآية بالدرجة نفسها، وغفلوا عن الفارق بين المطلبين، ولم يستحضروا التمايز بين مناط الداليتين، ولم يتنبهوا إلى أن دلالة هذه المعلومات التفصيلية المكتشفة في بعض المخلوقات على الربوبية جارية على كل حال، ولو كانت بمعزل عن النص القرآني، وأن النص إنما نبه على مبتدأ هذه الدلالة خصوصاً دون تفصيلاً المكتشفة، وهو القدر الذي فهمه تماماً المخاطبون إبان التنزيل، وانتفع به من هداه الله منهم في باب التوحيد، وبعد، فأحسب أن هذا الخلط قد يفسر عجيج الجمهور أحياناً بالتكبير والتسييح عند ذكر بعض النماذج الإعجازية المتكلفة تكلفاً ظاهراً، رغم كون كثير من الحضور من المتخصصين الشرعيين.

٣- أن الاستدلال بالمكتشفات العلمية على الربوبية مع استقامته وموافقته الشرع قد يعتوره خلل من جهة ثمرته، حين يُظن أنها هي الإيمان المطلوب للفلاح عند الله، وإنما هي مجرد معرفة تزيد في قيام الحجة على الإنسان، ولا تنفعه عند الله ما لم يلتزم بمقتضاها من عبادة الله وحده والبراءة مما سواه، أو حين يُظن أن هذه المعرفة التفصيلية شرط في تحصيل الإيمان أو تكميله، مع أنها دون شك غير محصلة لأهل القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرية على من بعدهم.

إذا تبين هذا فإن المنهج الصحيح في الاستدلال بالمكتشفات العلمية على الربوبية أن يُسَنَّ ما سنة ما ذكر في القرآن من دلالة المخلوقات على الخالق، فهي تدل على وجود الخالق وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وسائر كمالاته دلالة الأثر على المؤثر، والصنعة على الصانع، بما فيها من أمارات الحدود وشواهد الإرادة المخصّصة، والزيادة التي فيها على ما ذكر في القرآن من وجهين:

- ١- زيادة الأنواع، فكهم اكتشف الناس ولا زالوا يكتشفون من أنواع الحيوانات والنباتات والمخلوقات العلوية والسفلية وأحوالها وأوصافها ومقاديرها ما لم يسمه القرآن ولم يشير إليه إلا إجمالاً ضمن ذكر الخلق أو بعض أجناسهم بالعموم.
- ٢- زيادة التفصيل العلمي الدقيق بمخلوق ذكره القرآن ولم ينص على هذا التفصيل، مثال ذلك النحل، أشارت إليه الآية الكريمة: {وأوحى ربك إلى النحل ..} الآية [النحل ٦٨]، وقد ذكر بعض العلماء<sup>(٢٧)</sup> أن النحلة تجعل خليتها سداسية الشكل لأن زوايا الرباعي ضيقة لا تستطيع النحلة الوصول إليها، والدائري يبقى فراغات بين الخلايا تجمع الأوساخ، فهدى الله هذا المخلوق الضعيف إلى هذه الحكمة الهندسية البديعة، وهذا دون شك يدخل في عموم مفهوم الآية، وهو مستقيم تماماً في تأدية غرضها في الدلالة على الربوبية، دون أن يدعي ما لا يحق ويزعّم زاعم أن هذا التفصيل مراد مباشر للآية، وأكّا تدل على النبوة من جهة أن محمداً لم يتعاط دراسة النحل وتربيتها، ولا الهندسة وزواياها وأضلاعها، فمن الذي علّمه هذا إلا العليم الحكيم؟!، وهذا هو منهج الإعجازيين بعينه؛ فهذا ما لا يسع قبوله ولا تسويغه، وقد مضت مبررات ذلك.

## المبحث الرابع

### منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة

سبقّت الإشارة إلى أن الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة هو ما جرى الاصطلاح مؤخراً على تسميته بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ومع أنه لا مشاحة في الاصطلاح كما يقال فإنّي أؤثر التعبير الذي استعملته في العنوان؛ لأن الإعجاز مقرون بالتحدي، وذلك أن المتحدي يحدو خصمه لمعارضته والإتيان بمثل ما أتى به<sup>(٢٨)</sup>، فيعجز الخصم عن ذلك، فيسمى هذا الظفر إعجازاً، وذلك ما لا أراه مطابقاً لدلالة ما في القرآن من أنباء الغيب المستقبلة، ومنها ما لا يمكن من الإشارات إلى المكتشفات العلمية المسماة الإعجاز العلمي؛ وذلك أن التحدي غير وارد فيها بل غير سائغ؛ فإن التحدي إنما يكون على دلالة ناجزة لا



موعودة، وإذا كانت موعودة فلا بد أن تكون قريبة الأمد، لا أن تكون بعد هلاك أطراف التحدي بعهود، ومثال الناجزة: التحدي البياني، ومثال الموعودة قريبة الأمد: تحدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه المشركين<sup>(٢٩)</sup> بقوله تعالى: {غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين} [الروم ٢-٤]، ومثال بعيدة الأمد حديث "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل بليل مصرى"<sup>(٣٠)</sup> وحديث الذباب<sup>(٣١)</sup>، فمثل هذه لا يجري التحدي ١؛ إذ هي حين التحدث ٢ نبوة، لا من دلائل النبوة، وإنما تنضم إلى الدلائل بعد وقوعها مطابقة للخبر السابق، فكيف ٣ التحدي ٤؟، وما لذكر من دلالة المكتشفات العلمية على النبوة هو من هذا الباب، فكيف ٥ يسمى إعجازا وليس ثمة تحالفاً؟!

أما إن كان التحدي والإعجاز جاريا في مجرد الوصول إلى هذه الحقائق العلمية ومعارضة القرآن ١ على طريقة التحدي البياني لفصحاء العرب قديما، فلن ٢ يعجز المكتشفون عن أن يقولوا عند ذاك: ها نحن قد وصلنا إليها من غير طريق النبوة، بل بجهد سواعدنا وذكاء عقولنا، ولم نعجز عن ذلك، وحسبنا أن النبوة تأيدت بموافقتها لنا، فنحن أولى بالفألج والظفر عند التحدي. فما هو الجواب حينئذ؟.

لذا ينبغي التنبيه إلى أن مفهوم الدلالة أوسع وأعم من مفهوم التحدي، فما كل دليل متحدث به، ولا يلزم من دلالة شيء على النبوة أن يكون ٣ إعجازا، بل يكفي أن يكون ملازما لمدلوله، سواء كان معجزا أو غير معجز.

فإن عز على مستعملي هذا المصطلح تركه فليقتصر استعماله على ما يوافق مفهومه اللغوي، ألا وهو الجانب السلبي من القضية؛ من جهة أن التحدي قائم فيه بأن يأتي المكذبون للنبوة بتناقض بين القرآن والمكتشفات العلمية، وفي هذا ما فيه من انفتاح مهلة التحدي، وكون المكتشفات متزايدة مع مرور الزمن، وذلك ما يجعل الحكم النهائي بالعجز معلقا.

هذا في نقد مصطلح "الإعجاز العلمي"<sup>(٣٢)</sup>، ولأجله أعرضت في عنوان البحث عن ذكر هذا المصطلح رغم شيوعه، أما في منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على صدق النبوة

فينبغي التنبيه إلى أن العلم بالخبر له حالان: الأولى معرفة معناه، والثانية معرفة صدق هذا المعنى وأنه حق ثابت في الأمر نفسه بطريق صحيح من طرق الاستدلال.

وغير خاف أن الأولى مردها إلى لغة المخبر، والثانية إلى دليل خارجي.

ثم ينبغي عند الثبوت من صحة المعنى التفريق بين أمرين:

الأول: وقوف الناس من طريق مستقل على صحة ما كانوا يعرفون بمقتضى اللغة معناه من نصوص الكتاب والسنة، كحديث غمس الذباب، إذا ثبت مضمونه بطريق علمية لم تكن موجودة في عصر النبوة ولا قريبا منها، فهو بلا شك من دلائل صدق النبوة، وهو من باب الإخبار بالمغيبيات، كالإخبار بالنار التي تخرج من أرض الحجاز، وشهادة الخبراء فيه من جنس شهادة أهل الكتاب بموافقة ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - لما عندهم من الحق، وإلى ذلك الإشارة بقوله - تعالى -: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك} [يونس ٩٤].

فهذا ونحوه مما لا ننازع في سلامة منهجه، لكن تبقى تطبيقاته موضع بحث من جهة ثبوت الاكتشاف العلمي، وعدم تطرق الشك إليه واحتمال الاختلاف في نتائجه ومسلماته، والاستيقان من كونه اكتشافا حديثا يمتنع الوصول إليه في عصر النبوة أو قريبا منها، كأن يتوقف على الآلات المقربة أو المكبرة مثلا، وقد أورد عليه الاعتراض المذكور سابقا<sup>(٣٣)</sup> من كون الحقائق العلمية المكتشفة إنما تجزم بقطعيتها في ضوء معطيات المدركات الحسية المتاحة، وأن التقدم الهائل الطارئ على وسائل الإدراك، المعينة للحواس في إدراك ما لم يكن يخطر ببال أبا ستدركه بعدا أو ضالة، وكذا التقدم الأهول الطارئ على وسائل الإحصاء والحساب والاستقراء المعينة للعقل في أقيسته وأحكامه، والجمع بين المتفرقات، والتفريق بين المختلفات، والوقوف المتجدد على علل الظواهر وخواص الأشياء، أن ذلك كله يستوجب ألا نجزم في نظرية علمية بحقيقة كآنية؛ للاحتمال شبه المؤكد للمزيد من التقدم والتطور.

ولأنصار الإعجاز العلمي أن يجيبوا بأن هذا الاحتمال إنما يرد في بعض الأحوال أو

غالبها لا كلها. لكن هب أن بعض الحقائق العلمية اكتسبت القطعية النهائية فهل بالضرورة أن ما يدعى من أمثلة الإعجاز مندرج في هذا النوع، وإذا ثبت ذلك فهل هو كاف في تثبيت دعوى الإعجاز؟ هذا ما سنسلط عليه الضوء لاحقاً.

الأمر الثاني: ما يزعمه القائلون بالإعجاز العلمي من دلالة بعض الآيات والأحاديث على مكتشفات لم تكن معلومة من قبل مطلقاً، لا صحة ولا معنى، ويرتبون على ذلك فوات المعنى الصحيح للآيات وخفاءه على السابقين من أهل اللغة ومعاصري التنزيل المخاطبين به، فهذا الذي ننازع فيه، ونرى في الاستدلال به على النبوة خلاصاً منهجياً، يضعف موقف المحتج به، من جهة أنه كيف تكون تلك الآيات دالة على مكتشفات لم تكن متصورة معلومة المعنى بالمرّة، دون أن يفهمها أولى الناس بفهم اللغة؟.

وغاية ما يمكن التمسك به هنا لإلّا باض دلالتها القول بالاحتمال اللغوي، وهنا يدخل الخلل والضعف المشار إليه سابقاً بقاعدة "إذا دخل الاحتمال سقط -أو ضعف- الاستدلال"، وهي منطبقة هنا؛ وذلك أن المعاني المحتملة للآية إما أن تكون متضادة أو متنوعة، فإن كانت متضادة لم يجوز أن يكون الصواب خارجاً عما فهمه السلف من احتمالات؛ وإلا لزم تجهيلهم وخروج الحق عن مجموعهم، بل يلزم أن يكون المعنى الصحيح قد خفي على النبي صلى الله عليه وسلم، أو علمه فلم يبينه!، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل ٤٤]، أما إن كانت المعاني المحتملة متنوعة، بمعنى أن السياق يحتمل الدلالة عليها جميعاً دون مشاحة، فهنا يلزم المستدل بالآية على معنى مخصوص أن يثبت بقريضة خارجية أو من السياق أن هذا المعنى مراد بعينه للمتكلم؛ فإن مجرد الاحتمال شيء، وقصداً معنى مخصوص بعينه شيء آخر، ودلائل النبوة لا يكفي فيها مجرد الاحتمال.

وهكذا يقال لمن تمسك بالعموم في معنى الآية؛ فإن دلالته على أفراد المعنى احتمالية، ولا تكفي في الدلالة على النبوة إلا في المقام السلبي كما سنبين، لكنها مستقيمة في الدلالة على الربوبية كما سبق.

فإذا قال مدعي الإعجاز العلمي مثلاً: إن العلماء اكتشفوا مؤخراً علم البصمات، وفيه أن كل إنسان يختص في باطن كفه بخطوط دقيقة لا توافق غيره، ورتبوا عليها إثبات الهوية، وإن القرآن قد سبق في الإشارة إلى هذا قبل أربعة عشر قرناً، وذلك في قوله تعالى: {بلى قادرين على أن نسوي بنانه} [القيامة ٤] <sup>(٣٤)</sup>، فدل ذلك على أن القرآن كلام الله؛ إذ من أدرى محمداً ومن في عصره لما الاكتشاف الحديث؟.

قلنا له: هب أن خلق (البصمات) على هذا النحو العجيب الدال على عظمة الله تعالى مشمول بعموم معنى الآية، فما الدليل على أن الله تعالى أراد ما ذكرته من علم البصمات المكتشف بعينه؟ <sup>(٣٥)</sup>، وهل هذا إلا قول على الله بلا علم، ورجم بالغيب؟ فكيف جعل دليلاً على النبوة؟، وهل هذا إلا كمن استدل مثلاً بقوله تعالى: {اذكروا الله ذكراً كثيراً} [الأحزاب ٤١] على ورثته مبتدع، أو بقوله تعالى: {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم} [الشورى ٣٠] على أن الزلازل والبراكين و"تسونامي" كانت عقوبات لمن أصابتهم، وكألاً عقوبات الاستئصال الإلهية لمكذبي الرسل الوارثين ذكرها في القرآن، مع ألا إنما طالبت أبأس أهل الأرض، وغالبهم مسلمون، وسلم منها الجابرة الظالمون الكافرون، فهذا كله آفته الاستدلال بالعمومات على أمور مخصوصة دون دليل إضافي على التخصيص.

فإن احتج القائلون بالإعجاز العلمي على حمل القرآن على تلك المعاني المظنونة الحادثة المستجدة، وألاً قطعاً مرادة من السياق القرآني، بأنه كلام علام الغيوب، الذي أحاط بكل شيء علماً، وتنزه عن الغفلة والنسيان، فلا بد من حمل كلامه على غاية ما يحتمله لغة؛ إذ الغفلة عن بعض محملاته منتفية هنا، فظنوا أن هذا مصادرة على المطلوب، وقلب للقضية، وتحويل للمستأنس عليه إلى دليل، وذلك أن إثبات كون القرآن كلام الله مطلوباً لاستدلاله عليه بالإعجاز، فكيف يكون من مقدمات إثبات الإعجاز؟!

كما أنه يمكن أن يستغل ذلك مكذب القرآن فيقول: كما تحملون بعض الآيات على بعض المكتشفات بأدنى ملابسة تصديقا، فأنا على المنهج نفسه أفعل ذلك بأدنى مناقضة تكذيباً، فما هو جوابه حينئذ؟. ومعلوم أنه لن يعوزه الوقوف على النصوص التي استشكل العلماء

ظواهرها، واشتغلوا ببيان وجه موافقتها للحس والعقل، وربما تأولوا في ذلك، كما فعلوا مع نصوص إثبات العلو والتزول لله تعالى مع كروية الأرض وسبب تعاقب الليل والنهار، وحديث سجود الشمس واستدراكها للطلوع كل يوم<sup>(٣٦)</sup> مع جرياً دون توقف وكوآ لا تزال طالعة غائبة في كل لحظة، وهكذا الأحاديث الواردة في ردم يأجوج ومأجوج<sup>(٣٧)</sup> مع انكشاف جغرافية سطح الأرض على التمام والكمال، وغير هذه النصوص كثير وكثير، بل إنه يمكن أن يتمسك في هذا بجميع الآيات التي اعتمد عليها بعض علماء الشريعة في إنكار شيء من الحقائق العلمية المكتشفة، كحركة الأرض ودوراً حول الشمس، فهل يقال إن المعتمدين على الاحتمال في الإعجاز يفتحون ثغرة على المسلمين من حيث لا يشعرون؟<sup>(٣٨)</sup>.

وهكذا يمكن أن يعترض بوجه إجمالي على الإعجاز العلمي بأنه لو كان هذا من طرق دلالة القرآن على النبوة لكان الأولى أن يصرح القرآن بأعظم الحقائق العلمية المكتشفة الكبرى وأشهرها، لا أن يتجاوزها إلى ما هو أدق منها وأخفى على وجه محتمل، أما الاعتذار عن التصريح بذلك بأنه كان سيؤدي إلى ردة بعض من آمن أول الأمر<sup>(٣٩)</sup> فهو أوهى من نسج العنكبوت؛ إذ قد حدث هذا بالفعل في حادثة الإسراء والمعراج، وارتد من ارتد بسببها<sup>(٤٠)</sup>، وهي لعمر الحق أبلغ في القدرة، وأكثر تحييراً للعقول، فكان درء مفسدة الافتتان الأولى.

ومما تستتبعه آفة الاحتمال هذه أنك ترى كثيراً من الأمثلة المذكورة على الإعجاز العلمي مع ما يكتنفها من التكلف الظاهر، لها نظائر في كلام العرب وأساليب تخاطبهم، فبينما يدندن بعض المغرقيين في الإعجاز العلمي حول كلمة في آية، ويحملها من التهاويل ما يكبر ويهلل له المتحمسون، إذا ما مستخدمة بالتركيب نفسه القرآني تقريباً أو قريباً منه في الشعر الجاهلي، ومن أمثلة ذلك قول عبيد بن الأبرص يصف البرق والمطر:

أرقت لضوء برق في نشاط	تألاً في مملأة غصص
لواقح دَلَحَ بالماء سحِم	تنج الماء من خلل الخصاص
سحاب ذات أسحِم مكفهر	توالج الأرض قطرا ذا افتتاح

تألف فاستوى طبقا دكاكا      محيلا دون مثعبه نواص  
كليل مظلم الحجرات داج      يم أو كبهر ذي بواص  
كان تبسم الأنواء فيه      إذا ما انكل عن لطق هصاص

فهذه الألفاظ والمعاني بمحتللا ١ وعموما ١ إذا طبق عليها منهج الإعجازيين مع الآيات التي تذكر الألفاظ والمعاني نفسها كقوله تعالى: {وأرسلنا الرياح لواقح} [الحجر ٢٢]، وقوله: {ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما} إلى قوله: {يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار} <sup>(٤١)</sup> [النور ٤٣ - ٤٤] ، نتج عن ذلك: الإعجاز العلمي في شعر عبيد بن الأبرص؟!.

وكما أن مسألة الاحتمال والعموم هذه مشكلة على تطبيقات الإعجاز العلمي، فهي كذلك واردة على الأدلة الإجمالية التي يحتج ١ المنظرون لهذا الاتجاه، فقد استدلوا بقوله تعالى: {لكل نأ مستقر وسوف تعلمون} [الأنعام ٦٧]، وقوله: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم} [فصلت ٥٣]، ونحوها من الآيات الدالة على أن الله تعالى سيظهر مستقبلا من الدلائل والبراهين ما يتبين منه صدق وعد الله تعالى بنصرة رسوله وإهلاك المكذبين، وأن رسوله على الحق وألم على الباطل، ومع أن سياق الآيات يحتمل العموم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب <sup>(٤٢)</sup>، فإن توجه الخطاب في قوله {وسوف تعلمون} {سنريهم} للمكذبين في عهد النبوة يجعل حصول ذلك في زمنهم مرادا متعينا في الآيات، إن لم يكن غيره ممتنعا، ومن هنا دخل الاحتمال.

وقس على ذلك الآيات التي تخاطب الكفار في زمن التنزيل، كقوله تعالى: {أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون} [الأنبياء ٣٠] وقد أثبتت النظرية الانفصالية ونظرية خلق الكون من سديم <sup>(٤٣)</sup>، وقوله تعالى: {وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آيا ١ معرضون} [الأنبياء ٣٢] وحملت معنى الغلاف الغازي حول الكرة الأرضية <sup>(٤٤)</sup>، وقوله تعالى: {أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها

من أطرافها} [الأنبياء ٤٤] وحملت نظرية كروية الأرض غير المكتملة عند الأقطاب<sup>(٤٥)</sup>، وقوله تعالى: {ما لكم لا ترجون الله وقارا وقد خلقكم أطوارا} [نوح ١٤]، {يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم} [الحج ٥] وحملت علم الأجنة<sup>(٤٦)</sup> ونظرية التطور<sup>(٤٧)</sup>، وقوله تعالى: {مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان، فبأي آلاء ربكما تكذبان} [الرحمن ١٩ - ٢١]، وحملت قانون المط السطحي<sup>(٤٨)</sup>، فهذه الآيات ونحوها مما يخاطب الكفار أيام التنزيل مخاطبة صريحة، ويحتج عليهم في شأن التوحيد والبعث بما يعرفونه تماما من آيات قدرة الله تعالى في الآفاق وفي أنفسهم، أي مفهومه لمن خاطبوا ١ أم لا؟ فإن لم تكن مفهومة كيف قامت ٢ الحجة عليهم؟ وإن كانت مفهومة عندهم فهل المعنى المكتشف في هذه النظريات ونحوها مما فهموه؟ فإن كانوا فهموه منها فما وجه الاكتشاف والجدّة؟ وما بالهم لم يسبقوا إلى تلك المكتشفات آنذاك؟ وإن لم يفهموا مما خاطبوا به شيئا من تلك المكتشفات فما الذي أدرك أصحاب الإعجاز أن المتكلم بالقرآن أراد مخاطبه وقصد تلك المكتشفات دون ما فهمه المخاطبون الأولون أو معه؟.

ومعلوم للمتأمل أن هذا غير مختص بالآيات التي تخاطب الكفار صراحة؛ بل هو في سائر الآيات، فهم مخاطبون ١ جميعا ولو لم يرد التصريح في كل آية بمخاطبتهم وذكرهم.

ولعله قد استبان بما سبق أن المنهج الصحيح في الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة يتمثل في مقامين: المقام الأول مقام الإثبات، أو المقام الإيجابي، ويتطلب أن تكون الحقيقة العلمية المكتشفة مرادة بخصوصها من الآية، لا بمجرد الاحتمال، والمقام الآخر مقام النفي، أو المقام السلبي، ومضمونه الاستدلال بمجموع القرآن مع المكتشفات العلمية سلبيًا، بمعنى أنه لم تنهض حقيقة علمية واحدة مكتشفة بتكذيب صريح القرآن كما سبقت الإشارة<sup>(٤٩)</sup>، فهو بمعنى قوله تعالى: {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} [النساء ٨٢]، وواضح استغناء هذا المقام عن الشرط المذكور في الآفلر، ومن هنا رأى خصوم التفسير العلمي للقرآن أن هذا المقام وحده هو السائق في الدلالة على النبوة؛ إذ لا يتصور تحقق الشرط المذكور في

المقام الأول في أي من أمثلة الإعجاز العلمي الملقاة في آيات الخلق والتدبير؛ من جهة أَلَّا جميعا مسوقة أصلا للاحتجاج على المشركين بتوحيد الربوبية الذي يعرفونه ويقرون به على توحيد العبادة الذي ينكرونه، فصار المراد مترددا في جميع هذه الآيات بين ما فهمه المشركون وما ادعاه الإعجازيون، فدخل الاحتمال، وفُقد الشرط، فلم يبق له وجود إلا في التنظير.

وأرى أن هذا التعميم مع تبادره إلى الذهن سابق لأوانه؛ فهو يتطلب استقراء دقيقا للقرآن، والاستيقان من عدم ذكر شيء من المخلوقات في غير سياق الاحتجاج على المشركين والمكذّبين بما يعرفونه ويقرون به، سواء من جهة الحس أو من جهة ما تلقوه من بقايا النبوات السابقة، كما في قوله تعالى: {قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون الله، قل أفلا تتقون} [المؤمنون ٨٦، ٨٧]، فإن علمهم بخبر العرش وعدد السموات محصل من النبوات السابقة، ولو افترضنا جدلا أن العلم بالحديث كشف بدليل حسي قاطع عن أَلَّا سبع، لم يصح اعتبار ذلك دليلا على النبوة؛ لجواز استفادة النبي لذلك من قومه، فإن لم يحصلوه من النبوات السابقة دل على النبوة من جهة موافقة النبوات السابقة، لا من جهة موافقة المكتشفات العلمية الحديثة.

كما أنه تعميم مختص بالقرآن، فتبقى السنة التي تستوي مع القرآن في الشرط المذكور للإعجاز الموجب، وفيها نماذج قد تكون مثالا صحيحا لانطباق هذا الشرط المذكور في المقام الأول، كقول النبي صلى الله عليه وسلم عن الذباب (في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء)<sup>(٥٠)</sup>، وكتحديده مدة تخليق كل من النطفة والعلقة والمضغة بأربعين - أو اثنين وأربعين أو خمسة وأربعين أو بضع وأربعين - يوما - أو ليلة - على اختلاف الروايات<sup>(٥١)</sup>، لكن تبقى مطابقة الخبر للواقع بشهادة الحقيقة العلمية المكتشفة ركنا آخر لدلالته على النبوة، وما يتطلبه ذلك من إجماع المختصين على صحة هذا الاكتشاف وكونه حقيقة كائنية غير قابلة لإعادة النظر، واشتغال ذلك بما تنتفي معه شبهة القول عليهم.

ومهما يكن من أمر، فإن في تحديد الشروط والضوابط المخصصة لصحيح الإعجاز العلمي الموجب من مزلفه مندوحة عن الالتزام المبكر بحكم عام بامتناع تحققه في أي نص، وهي



كفيلة إن شاء الله بغرلة النتائج الغزير المقدم حتى الآن، ويمكن في ضوء ما سبق تحديد هذه الشروط والضوابط فيما يلي:

- ١- أن يكون النص مفهوم المعنى تماما موع المخاطبين به منذ صدوره.
  - ٢- أن يكون المعنى الإعجازي مدلولاً متعيناً للنص.
  - ٣- ألا يكون صدق هذا المعنى ومطابقته للواقع في الأمر نفسه معلوماً من قِبَلُ للمخاطبين.
  - ٤- إذا ادعي الإعجاز في حديث نبوي شريف لزم انتفاء احتمال صدوره بظن واجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم.
  - ٥- إجماع المختصين على كون الاكتشاف العلمي المألّف وقوع الإعجاز العلمي به حقيقةً قطعية كاثبة تمتنع إعادة النظر فيها، واشتعار ذلك بما تنفي معه شبهة القول عليهم.
- فلرّ بالشرط الأول كل إعجاز علمي يزعم فيه فوات المعنى الصحيح للآية على من خوطبوا أيام التنزيل، كالذي عبر عنه الدكتور أحمد جمال العمري بقوله: (والذي لا شك فيه أن القرآن العظيم يضم آيات كثيرة لم يفهم بوضوح إلا بعد أن تقدمت العلوم التجريبية في عصرنا الحاضر...، ومن ثم نقول - على سبيل القطع -: إن كثيراً من آيات القرآن الكريم سلفهم بصورة أدق وأكمل بعد تقدم العلوم التجريبية أكثر فأكثر)<sup>(٥٢)</sup>.
- ومثاله الإعجاز المألّف في اكتشاف العلماء كون (المضغة) المذكورة في أطوار خلق الجنين على شكل ما يمضغ وهيئته، ففيها كآثر الأسنان في العلك، لا على قدر ما يمضغ كما فهم السابقون، بل هي أصغر من قدر اللقمة بكثير<sup>(٥٣)</sup>.
- ولرّ بالشرط الثاني كل إعجاز علمي مبني على معنى محتمل في الآية، حتى لو التزم صاحبه بصحة المعنى الآخر الذي فهمه السابقون أو بعضهم من الآية؛ لاحتمال أن يكون وحده هو مراد الله تعالى من الآية دون غيره من المعاني المحتملة، وإذا دخل الاحتمال سقط الاستدلال.
- ومثال ذلك الإعجاز المألّف في قوله تعالى: {أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من

فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض} [النور ٤٠]، وأن المراد لـ الموج الباطني والموج السطحي<sup>(٥٤)</sup>؛ فإن عامة المفسرين على أن المراد بالموج الذي من فوقه موج هو هذه الأمواج المترادفة المتراكبة المتتابعة المتلاطمة، التي يشاهدها مباشرة كل من نظر إلى بحر هائج، فهي مراد الآية قطعاً؛ وإلا لم يكن المثل المضروب للكافر مفهوماً لمن لا يعرف الموج الباطني.

والرُّبُّ بالشرط الثالث كل إعجاز علمي مبني على معنى كان الناس يعرفون مطابقتَه للواقع في الأمر نفسه قبل تحدُّث النبي صلى الله عليه وسلم به.

ومثال ذلك الإعجاز العلمي المبيَّن في الآيات التي تتحدث عن أطوار خلق الإنسان؛ فإنَّها ذُكرت في سياق يقتضي معرفة المخاطبين السابقة بحقيقة هذه الأطوار، وهو سياق الاحتجاج بخلق الإنسان أول مرة على إعادة خلقه بعد الموت.

ويرد بالشرط الرابع كل إعجاز علمي مدعى في حديث نبوي ليس في شأن ديننا؛ مما يُحتمل أن يكون مقولاً على سبيل الظن والاجتهاد، لا بوحى من الله تعالى.

ومثاله كل إعجاز علمي مدعى في أحاديث طب الأبدان التي لم يرد فيها تصريح بألِّ وحي من الله تعالى.

والرُّبُّ بالشرط الخامس كل إعجاز علمي لم تؤثَّق فيه الحقيقة العلمية على وجه يمنع خفاءها والخلاف حولها والمراجعة فيها من العقلاء، ويسوّغ التحلِّي بثبوتها ويقيّنها على صدق النبوة.

ومثال ذلك ما راج مؤخرًا من الإعجاز المبيَّن في نصوص عذاب البرزخ، المبني على صوت مسجِّل من باطن الأرض لسمع فيه ما يشبه الصراخ واللغظ، وأنه صوت المعذبين في البرزخ، التقطته أجهزة قياس الموجات الصوتية مصادفة.

## الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد..  
فهذه رؤيتي في قضية الإعجاز العلمي، قدمتها نصيحة الله وكتابه ونبيه وعامة المسلمين،  
وحرصاً على تنقية المنهج الإسلامي من كل ما من شأنه أن يُلْذَخِلَ عليه الضعف والهوان،  
خصوصاً في باب العقائد، وعلى الأخص في باب دلائل النبوة، الذي تنبني عليه عامة تفاصيل  
الشريعة الخاتمة، مؤكداً أن ما يسره الله تعالى من دلائل النبوة الخاتمة اليقينية القطعية فوق ما  
يتصوره الباحثون، وأكثر من أن يحصي أفرادها العادون، وأغنى وأثرى من أن يحتاج غيرها  
المسلمون، وأظهر وأيسر من أن يتكلف في استنباطها وشرحها المتكلفون.

وأود في خاتمة هذا البحث أن أجمل أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

### أولاً: النتائج

- أن إنكار دلالة المكتشفات العلمية على الربوبية والنبوة أو ما اصطاح العلماء على تسميته  
"الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" بإطلاق غير صحيح، ولا يُعلم قائلٌ به من أهل العلم  
المعتبرين.
- المكتشفات العلمية دالة على الربوبية من جهة زيادة التفصيل في بيان صنعة الخالق جل  
وعلا وآثار عظمتة.
- كمال الإيمان غير متلازم مع المعرفة التفصيلية بالصنائع الإلهية.
- المكتشفات العلمية دالة على النبوة من جهة السلب؛ وهي عجزها عن تكذيب شيء من  
صريح القرآن، وهذا هو القدر المأمع عليه بين العلماء من الإعجاز العلمي، وهو داخل في  
معنى قوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء ٨٢]، أما ما  
كان من جهة الإيجاب وهي إشارة مواضع من القرآن إلى اكتشافات علمية بعينها فهذا مبني  
على التفسير العلمي، وفيه خلاف مشهور.

- النصوص المسوقة لإثبات التوحيد والبعث لا تصلح للاستشهاد على الإعجاز العلمي؛ ضرورة كون المعنى المراد منها ما فهمه المخاطبون زمن التنزيل.
- الإعجاز العلمي إنما يسوغ في نص يتضمن خبراً من أخبار الغيب، فإذا وقع أو لم يصدق من غير النبي انقلب برهاناً على النبوة.
- معاني آيات القرآن قاطبة مفهومة لموع المخاطبين منذ نزلت، بما فيها آيات الربوبية وتدبير المخلوقات، وإن خفي بعضها على بعضهم.
- الجزم بتضمن نص من القرآن أو السنة إشارة إلى مكتشف علمي مشروط بخمسة شروط:  
الأول: أن يكون النص مفهوم المعنى تماماً لموع المخاطبين به منذ صدوره.  
الثاني: أن يكون المعنى الإعجازي مدلولاً متعيناً للنص.  
الثالث: ألا يكون صدق هذا المعنى ومطابقته للواقع في الأمر نفسه معلوماً من قبل للمخاطبين.

- الرابع: ألا يحتل كونه مقولاً بظن النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده.
- الخامس: إجماع المختصين على كون الاكتشاف العلمي الملائم وقوع الإعجاز العلمي به حقيقة قطعية كائنة تمتنع إعادة النظر فيها، واشتعار ذلك بما تنفي معه شبهة القول عليهم.

### ثانياً: التوصيات

- العناية دائماً بسلامة منهج الاستدلال، خصوصاً في مجال العقائد.
- التأكيد على الشروط الشرعية الواجب توفرها في التفسير والمفسر لكتاب الله تعالى.
- العناية الفائقة بكنوز دلائل النبوة المخزونة في الكتاب والسنة وما أنتجه علماء الإسلام المتخصصون قديماً وحديثاً في باء تقريرها وشرحها وتأليفها، وإعادة صياغة وترجمة ما قدموه بحسب ما يتجدد من حاجة.
- كتابة البحوث النقدية من قبل المتخصصين لتقويم النتاج الغزير المقدم للأمة في مجال

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية.

- مبادرة المؤسسات و ا مامع والهيئات العلمية الشرعية المتخصصة إلى مناقشة مسألة الإعجاز العلمي من الناحية المنهجية، وإصدار البيانات المفصلة حولها، ووضع الضوابط والأصول الشرعية التي تضمن توظيفها في خدمة الإسلام على الوجه اللائق به.
- إقامة المؤتمرات وعقد ندوات الحوار الهادف البناء لمناقشة منهج الإعجاز العلمي والآراء حول منهجه وتطبيقاته.
- أن تعتني المؤسسات العلمية والهيئات ا تمعية والحركات الدعوية بسائر أبواب الاعتقاد ومسائله عل غرار العناية بقضية الإعجاز العلمي، خصوصاً تلك التي وقع فيها خلل كبير بسبب فشو الجهل وانتشار البدع والخرافات.
- أن يحرص المعتنون ببيان الإعجاز العلمي من المعتدلين على نقد النماذج غير الملتزمة بشروط صحة الإعجاز العلمي؛ لئلا يعللّ سكو م إقرارا لها.

## الهوامش والتعليقات

- (١) انظر "أنوار البروق في أنواء الفروق" لابن الشاط [٧٣٢]، ١٥٣/٢.
- (٢) فيكون جواز الإعجاز العلمي فيها حينئذ مبنياً على رجحان القول بدخولها في الوحي، وألّا مقصودة بالتشريع، لا كاجتهاده صلى الله عليه وسلم في القول بصلاحيّة النخل بدون تأبير، ثم لما تبين الواقع بخلافه قال: (إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإنني لن أكذب على الله عز وجل)، وفي رواية: (إنما أنا بشر فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر)، وزاد في رواية: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)، انظر صحيح مسلم ٢٣٦١، ٢٣٦٢، ٢٣٦٣، وانظر حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي ٢٧٢/١.
- (٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٣/١٣، ٤٠٥/١٧.
- (٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧/٤.
- (٥) كحال الدكتور جرينيه الفرنسي الذي أسلم بسبب مقارنته بين القرآن والعلوم الطبيعية، انظر مقال الرحالة محمود سالم في مجلة المنار ٥١٨/١٤، نقلاً عن "معالم القرآن في عوالم الأكوان" لأحمد العجوز ص ٦، وكحال مارشال جونسون وروبارت إدوارد وموريس بوكاي الذين أسلموا تأثراً بالإعجاز العلمي في الأجنة، وكذا عالم البحار جاك أوستري وأرثر ايلسون وغيرهم، انظر المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم لسعد الدين صالح ص ١٧٩، ١٨٠، "بحوث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة" ص ١٠.
- (٦) مما أُلّف في تقرير ذلك "القرآن والمنهج العلمي المعاصر" لعبدالحليم الجندي.
- (٧) كما هو منهج الشيخ عبداً بن الزنداني وفقه الله، انظر ما نقله عنه د. سعد الدين صالح في "المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم" ص ١٧٣، ١٧٤.
- (٨) انظر "اتجاهات التفسير في العصر الراهن" للدكتور عبداً بن المختسب ص ٢٤٧ وما بعدها، و"اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" للدكتور فهد الرومي: ٥٥٠-٥٦٣، و"التفسير العلمي في الميزان" لأحمد أبوحجر ص ٢٧٥ وما بعدها.
- (٩) يرى الدكتور فهد الرومي حفظه الله التفريق بين "التفسير العلمي" و"الإعجاز العلمي" بأن التفسير العلمي مختلف فيه، أما الإعجاز فمجمع عليه بين المسلمين، ولا جدال فيه ولا إشكال!، ثم قرر الإعجاز ١ مع عليه بما ستأتي تسميته في هذا البحث بالمقام السلبي للإعجاز

العلمي، لكنه عاد فقسم المُجمعين إلى طائفتين: من يطابق بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية واحدة واحدة، ومن يمتنع عن ذلك خوف انتقاض تلك الحقائق. وأرى أنه لم يوفق في هذا الرأي؛ فإن الطائفة الثانية سيبقى قولها بالإعجاز دعوى مجردة من التطبيقات، فلا تصح في مقام الإثبات، وإنما تصح في مقام النفي؛ لأن مدعي التناقض بين الحقائق العلمية والقرآن سيكون هو المطالب بالأمثلة حين ذاك، والقصد أن "التفسير العلمي" و"الإعجاز العلمي الموجب" متلازمان، لا يسع الاختلاف على أحدهما والاتفاق على الآخر. انظر اتجاهات التفسير للرومي ٢/ ٦٠١، ٦٠٠.

(١٠) انظر "مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس عشر" للدكتور أحمد العمري ص ٣٤١، حيث يقول: (والقول في هذه الجوانب نفسها يحتاج بالضرورة إلى أنواع من المعارف التجريبية المعاصرة يجاوز ما اشترط الزركشي العلم به من علوم اللغة والبيان والأصول والقراءات وأسباب التزلزل، حيث يتطلب إلى جانب ذلك كله معرفة كافية بمختلف مكتشفات العلوم التجريبية المعاصرة، مما يجعل إمكان القول فيه قاصراً إلى حد كبير على العلماء التجريبيين في مختلف الفروع من الفلك أو الطب أو الطبيعة أو الكيمياء وغيرها).

(١١) انظر مناهل العرفان ١/ ٢٠.

(١٢) أُلّف في هذا تفسير "الجواهر" الضخم، وجعله وقفاً على تقرير هذه المسألة.

(١٣) انظر طبائع الاستبصار ٤٧.

(١٤) انظر اتجاهات التفسير للمحتسب ص ٢٦٤ - ٢٩١، وللرومي ٢/ ٥٦٥ - ٥٧٧.

(١٥) انظر اتجاهات التفسير للمحتسب ص ٣٠٢ - ٣١٣، وللرومي ٢/ ٥٧٨ - ٥٩٨، ومقومات التصور الإسلامي لسيد قطب ص ٣٢٢ - ٣٢٥.

(١٦) انظر مقومات التصور الإسلامي ص ٣٢٣.

(١٧) أيسر طريقة للوقوف على ذلك تتبع ما ذكره المفسرون - وخصوصاً الفخر الرازي - والشرح قديماً عند كلامهم عن النصوص المستشهد بها في الإعجاز العلمي.

(١٨) انظر "التفسير، معالم حياته، منهجه اليوم" لأمين الخولي ٢٥-٢٦، نقلاً عن الرومي، اتجاهات التفسير: ٢/ ٥٨١.

(١٩) انظر مقومات التصور الإسلامي لسيد قطب ص ٣٢٢.

- (٢٠) تجد نصوص أصحاب هذه الآراء من المؤيدين والمعارضين والمؤيدين بتحفظ مجموعة في "اتجاهات التفسير في العصر المراهن" ص ٢٦٠ - ٣١٤ للدكتور عبد الله المختب، و"اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" للدكتور فهد الرومي (٢/٥٦٣-٦٠٤).
- (٢١) انظر "الإسلام دين الهداية والإصلاح" ص ٥١، نقلا عن "اتجاهات التفسير" للرومي ٥٦٨/٢.
- (٢٢) مدخل إلى القرآن الكريم ١٧٧، الحاشية.
- (٢٣) انظر "المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم" للدكتور سعد الدين صالح ص ١٦٩-١٧٤، "الفرقان والقرآن" لخالد العك ص ٤٥٥ - ٤٥٧، اتجاهات التفسير للرومي ٢/٦٠٤، "بحوث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة" ص ٩.
- (٢٤) انظر مثلاً "مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس عشر" للدكتور أحمد العمري ص ٣٤١، ٣٤٢.
- (٢٥) من قول علي لابن عباس رضي الله عنهم عندما بعثه لمناظرة الخوارج، رواه ابن سعد، انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٤١٠.
- (٢٦) انظر مثلاً كتاب "المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم" ضمن سلسلة العلم والقرآن للدكتور عبد العليم خضر فقد سار في هذا الاتجاه، رغم أنه صرح في المقدمة ص ٥ بأن سلسلته (مدف إلى الكشف عن آيات الله في الآفاق الكونية البعيدة والقريبة، وتكشف عن أدلة وجود الله سبحانه وتعالى وانفراده بالعظمة والخلق)، وهكذا كتاب الإعجاز الكوني في القرآن للدكتور السيد الجميلي.
- (٢٧) انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/٢٤٨.
- (٢٨) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية ٥/٤٢٢، مداخل الإعجاز لمحمود شاكر ص ٢١.
- (٢٩) انظر سنن الترمذي ٣١٩٣.
- (٣٠) البخاري ٦٧٠١، مسلم ٢٩٠٢.
- (٣١) البخاري ٣١٤٢، ٥٤٤٥.
- (٣٢) انظر تاريخ مصطلح الإعجاز ونقده عند المتكلمين في "مداخل إعجاز القرآن" لمحمود محمد شاكر ص ١٨ - ٥٦، وانظر البحث القيم الذي كتبه الدكتور مساعد الطيار بعنوان "تقويم المفاهيم في مصطلح الإعجاز العلمي" ص ٣ - ١٠.



(٣٣) راجع ص ١٦.

(٣٤) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢٠/١. وهناك من يجعل الإشارة إلى هذا العلم واردة في قوله تعالى: {وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون} [يس ٦٥]، كما في "معالم القرآن في عوالم الأكوان" لأحمد العجوز ص ٢٢٣، وكتابه هذا مبني على هذا النحو.

(٣٥) مع أن المعنى الذي عليه جمهور المفسرين التنبيه على قدرة الله تعالى على خلق الإنسان في الدنيا على صورة أخرى بأن تكون أطرافه مستوية كاللدواب، ففيه امتنان وتأييد ونوع وعيد، فهي بمعنى قوله تعالى: {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك، في أي صورة ما شاء ركبك} [الإنفطار ٦-٨]، وذهب بعض المفسرين إلى أن المعنى الأليق بالسياق التنبيه على قدرة الله تعالى على إعادة خلق الإنسان بعد الموت كما كان، حتى ما كان دقيقا كالبنان، انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤٠٢/٥، التسهيل للكلبي ١٦٤/٤.

(٣٦) صحيح البخاري، حديث ٣٠٢٧، ٤٥٢٤.

(٣٧) انظر صحيح البخاري ١٢٢٠/٣، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج.

(٣٨) عند بداية غزو الإنسان للفضاء سنة ١٩٦٥، استشهد بعضهم بقوله تعالى: {يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران} [الرحمن ٣٣-٣٥] على امتناع الهبوط على سطح القمر، واعتبر هذا سبقا علميا للآية، فلما أعلن سنة ١٩٦٨ الهبوط على سطح القمر، أخذ بعض الصحفيين يسأل علماء المسلمين عن الآية التي فيها استحالة وصول الإنسان إلى القمر! انظر مفهوم الإعجاز حتى القرن السادس للدكتور أحمد العمري ص ٣٤٢-٣٤٤.

(٣٩) كما قال الشيخ الشعراوي في معجزة القرآن ص ٣٨-٣٩، نقلا عن الرومي: اتجاهات التفسير ٥٧٣/٢.

(٤٠) انظر سيرة ابن هشام ٢/٢٤٥، والدر المنثور للسيوطي ٥/٣٠٩.

(٤١) انظر مناهل العرفان ٢٠/١.

- (٤٢) انظر البرهان في علوم القرآن ٣٢/١، البحر المحيط في أصول الفقه ٣٥٢/٢، كلاهما لبدر الدين الزركشي، "مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير" لمساعد الطيار ص ٢٢ وما بعدها.
- (٤٣) انظر المعجزة القرآنية الإعجاز العلمي والغبي للدكتور محمد حسن هيتو ص ١٩٧-١٩٩، نحو منهج لتفسير القرآن، لحمد الصادق عرجون ص ٢٣.
- (٤٤) انظر معالم القرآن لأحمد العجوز ص ١٢٤.
- (٤٥) انظر مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور دراز، ص ١٧٦.
- (٤٦) انظر "وجوه من الإعجاز القرآني" لمصطفى الدباغ ص ١٢٤-١٣١.
- (٤٧) انظر التفسير العلمي في الميزان لأحمد أبو حجر ص ٤٠٨-٤١٢.
- (٤٨) وهو قانون تمايز السوائل والفصل بينها بتجاذب الجزيئات المختلف من سائل إلى آخر، انظر المعجزة القرآنية للدكتور محمد هيتو ص ١٧٨.
- (٤٩) راجع ص ١٧.
- (٥٠) رواه البخاري، ٣١٤٢، ٥٤٤٥.
- (٥١) انظر صحيح البخاري، ٧٠١٦، وصحيح مسلم ٢٦٤٣، ٢٦٤٤، ٢٦٤٥، وانظر نقد ابن القيم لكلام قدماء الأطباء عن أطوار خلق الجنين ومددها عند شرحه لهذا الحديث في تحفة المودود ٢٦١/١-٢٦٣، وانظر "بحوث المؤتمر الثامن للإعجاز العلمي" بالكويت ص ٢٣-٢٦، حيث التأكيد على أن مدة الأطوار الثلاثة مجتمعة حسب آخر اكتشاف علمي قطعي! = ٤٠ يوما لا ١٢٠ كما ظن العلماء قديما، وأن هذا إعجاز أيضا بعد إعادة النظر في الفهم الشائع للروايات بما يوافق المكتشف الجديد!!!.
- (٥٢) "مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس عشر" ص ٣٣٩.
- (٥٣) سمعته قديما من الدكتور محمد علي البار في محاضرة عن الإعجاز العلمي، وقد عرض فيها صورة المضغة مكبرة كقطعة العلك المضغوطة.
- (٥٤) انظر معالم القرآن في عوالم الأكوان لأحمد العجوز ص ١٦٣، المعجزة القرآنية للدكتور محمد هيتو ص ١٩٣-١٩٦.

## المراجع

- ١- اتجاهات التفسير في العصر الراهن، لعبد الله بن محمد، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، ط٣، ١٤٠٢.
- ٢- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، لفهد الرومي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤.
- ٣- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، ت سعيد المندوب، دار الفكر، ط١، ١٤١٦.
- ٤- الإعجاز الكوني في القرآن، للسيد الجميلي، ط١، ١٩٨٨، دار زاهد القدسي، القاهرة.
- ٥- أنوار البروق في أنواء الفروق، لأبي القاسم ابن الشاط، ت خليل منصور، ١٤١٧، دار الكتب العلمية.
- ٦- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين الزركشي، ت محمد تامر، ١٤٢١، ط١، دار الكتب العلمية.
- ٧- "بحوث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة"، تقديم د.عبدالله المصلح، دولة الكويت.
- ٨- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، ت محمد أبو الفضل، دار المعرفة، ١٣٩١.
- ٩- تحفة المودود في أحكام المولود، لابن قيم الجوزية، ت عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٩١.
- ١٠- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٣.
- ١١- التفسير العلمي للقرآن في الميزان، محمد أبو حجر، دار قتيبة، ط١، ١٤١١.
- ١٢- تقويم المفاهيم في مصطلح الإعجاز العلمي، د/مساعدة الطيار، [www.tafser.net](http://www.tafser.net)
- ١٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ت علي مدني، مطبعة المدني، مصر.
- ١٤- حجة الله البالغة، لشاه ولي الله الدهلوي، ت سيد سابق، مكتبة المثنى، بغداد.
- ١٥- ديوان عبيد بن الأبرص، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤.
- ١٦- سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي.
- ١٧- صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا، ط٣، ١٤٠٧، دار ابن كثير، بيروت.
- ١٨- صحيح مسلم، تحقيق محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

- ١٩- طبائع الاستبصار ومصارع الاستعباد، لعبدالرحمن الكواكبي، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦.
- ٢٠- الفرقان والقرآن، لخالد العك، الحكمة للطباعة والنشر، ط ١، ١٤١٤، دمشق.
- ٢١- القرآن والمنهج العلمي المعاصر، لعبدالحليم الجندي، دار المعارف، ١٤٠٤.
- ٢٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن ابن قاسم، مكتبة ابن تيمية.
- ٢٣- التحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، ت عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣.
- ٢٤- مداخل إعجاز القرآن، لمحمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ١٤٢٣، ط ١.
- ٢٥- مدخل إلى القرآن الكريم، محمد دراز، ترجمة محمد عبدالعظيم، مراجعة السيد محمد بدوي، دار القلم، الكويت، ط ٣، ١٤٠١.
- ٢٦- معالم القرآن في عوالم الأكوان، لأحمد العجوز، دار الندوة الجديدة، ١٤٠٧، بيروت.
- ٢٧- المعجزة القرآنية، لمحمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٩.
- ٢٨- المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، لسعد الدين السيد صالح، ط ٢، ١٩٩٣، دار المعارف، القاهرة.
- ٢٩- مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٠- مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس عشر، لأحمد العمري، دار المعارف، القاهرة.
- ٣١- مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، لمساعد الطيار، دار المحدث، الرياض، ط ١، ١٤٢٥.
- ٣٢- مقومات التصور الإسلامي، لسيد قطب، دار الشروق، ط ٤، ١٤٠٨.
- ٣٣- مناهل العرفان في علوم القرآن، لعبدالعظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦، ط ١.
- ٣٤- المنهج الإيمانى للدراسات الكونية في القرآن الكريم، لعبدالعليم خضر، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط ٣، ١٤٠٧.
- ٣٥- نحو منهج لتفسير القرآن، لمحمد الصادق عرجون، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط ٢، ١٣٩٧.
- ٣٦- وجوه من الإعجاز القرآني، لمصطفى الدباغ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ٢، ١٤٠٥.